كتاب "تاريخ ثورة وعقاب أندلسيي مملكة غرناطة "[1]

للويس دي مرمول كربخال

مصدر من مصادر تاريخ غرناطة بني الأحمر

أ.مريامة لعناني

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الملخص:

يعد كتاب:" تاريخ ثورة وعقاب أندلسيي مملكة غرناطة" لمؤلفه مرمول كربخال أحد المؤلفات التاريخية التي اهتمت بشأن المسلمين بعد سقوط غرناطة سنة 1492. كما أنه يعتبر مؤلفا تاريخيا وجغرافيا يقدم معلومات مختلفة عن مرحلة حكم بني الأحمر بغرناطة. وقد جاءت هذه الدراسة للتعريف بالكتاب وإبراز قيمته العلمية وأهميته التاريخية؛ حيث يفيد الباحثين في تاريخ الأندلس، وخصوصا المهتمين بمجالي الطبونيميا والعمران.

Abstract

Marmol Karbakhal's book : "history of revolution and punishment of Muslims of Granada kingdom" is considered as one of the historical books that is interested in Muslims affairs after Granada is dropping in 1492. It's considered as a historical and geographical book that is presenting many different information about the period of authority Ben –al-Ahmar in Granada. This study is set to define more about this book and also to showing that is referred to the researchers in the al- Andalus history its scientific value, as well as, its historical importance, especially those are interesting in both domains: toponymy and urban one.

يعد تاريخ إسبانيا الإسلامية أو ما يعرف بالأندلس تاريخا حظي باهتمام المؤلفين على اختلاف تخصصاتهم، مؤرخين وأدباء وفقهاء وغيرهم، فكل هؤلاء عمل على

(1) _الكتاب باللغة الإسبانية: Louis de Marmol Karvajal:

Historia del rebelion y castigo de los moriscos del Reyno de Granada.

تدوين الأحداث التاريخية طيلة العصر الوسيط، وذكر أهم الإمارات والممالك التي أبقت على الوجود الإسلامي بإسبانيا طيلة ثمانية قرون.

وتعتبر مملكة غرناطة التي أسسها ورعاها بنو الأحمر[1] آخر تمثيل للمسلمين في اسبانيا، حيث اهتم بالتأريخ لها العديد من مؤرخي المسلمين أمثال: لسان الدين بن الخطيب(776ه/ 1274م) [2]، وعبد الرحمن بن خلدون (808ه/ 1406م) [3]، والمؤرخين الإسبان الذين عاصروا فترة ما بعد سقوط غرناطة، وظهور العنصر الموريسكي[4]، والذين قاموا بتدوين أحداث الفترة، كان لهم أيضا اهتمام بمملكة غرناطة قبل سقوطها، حيث حظيت هذه المملكة بقسط معتبر من النصوص التي تضمنتها مدونات المؤرخين الإسبان، ويتجلى ذلك على سبيل المثال في كتاب: الحروب الأهلية في غرناطة لبريث دي إيتا [5] Perez de Hita: Guerra civiles de Granada[6] هذا الكتاب يتحدث فيه صاحبه عن الحروب التي وقعت بين مسلمي غرناطة إلى حين سقوطها سنة 897 هـ/ 1492م.

(1) _دامت مملكة بني الأحمر من سنة 635ه/ 1238م إلى 897ه/ 1492م.

(2) _الإحاطة في أخبار غرناطة ، اللمحة البدرية في الدولة النصرية وغيرها .

(3) _المقدمة والتاريخ والرحلة.

(4) _المسلمون الذين مكثوا بإسبانيا بعد سقوط مملكة بني الأحمر حتى طردهم نهائيا في القرن 10ه/ 16م.

(5) _من مواليد إسبانيا ، عاش بمرسية ، شارك في إخماد ثورة مسلمي البشرات (جبال جنوب غرناطة) التي دامت من976ه/ 1568م إلى 978ه/ 1570م. توفي سنة1029ه/ 1619م

(6) _ترجمة مروة محمد إبراهيم، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط1، 2009.

وكتاب: تاريخ ثورة وعقاب أندلسيي مملكة غرناطة لمرمول كربخال، هذا الكتاب الذي اخترناه لموضوع مقالنا، فهل يعتبر هذا الكتاب مصدرا يعول عليه في نقل النصوص التي تؤرخ لمملكة بني الأحمر؟ وما هي أهم جوانب الحياة الغرناطية التي يمكن أن يفيدنا بها ؟

التعريف بالمؤلف:

مرمول كربخال إسباني غرناطي الأصل، ولد سنة927ه/ 1520م، نشأ بمسقط رأسه إلا أنه خرج منه في بداية شبابه كمشارك عسكري في الحملة الحربية التي قام بها شارل الخامس ضد مدينة تونس سنة942ه/ 1535[1]. بعد عودته إلى إسبانيا شارك في إخماد ثورة البشرات(976ه/ 1568م_ 978ه/ 1570م [2]

كان ميالا لكتابة التاريخ، وشغوفا بجمع المعلومات من مختلف المصادر التي توفرت في عصره،[3] كما أتقن الجغرافية، فجاءت مؤلفاته ـ رغم قلتها ـ متسمة بالتنوع التاريخي الجغرافي، ككتاب "إفريقيا" وكتاب "تاريخ ثورة وعقاب أندلسيي مملكة غرناطة ".كما أن تشبعه بالثقافة الدينية النصرانية وتعصبه لها دعاه إلى الاهتمام بالكتب

(1) _مرمول كربخال: إفريقا، تر محمد حجي وآخرون، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، 1984، مكتبة المعارف، الرباط،ج1، ص9.

(2) _ مرمول كربخال: تاريخ ثورة وعقاب أندلسيي مملكة غرناطة ، تر جعفر بن الحاج السلمي، الجمعية المغربية الأندلسية، جمعية تطوان أسمير ، ط1، 2013، مطبعة الخليج العربي، تطوان، (مقدمة المترجم)، ج1، ص 18.

(3) _ مرمول كربخال: إفريقيا، المصدر السابق، ج1، ص9، 10.

الدينية، حيث قام بترجمة كتاب "إلهام الجيش المقدس" وتذييل كتاب "صلوات القسيسين الرومان"[1]. توفي بمالقة بإسبانيا سنة1009ه/ 1600م[2].

التعريف بالكتاب ـ موضوع الدراسة ـ :

لقد خصص كربخال الكتاب للحديث عن مرحلة ما بعد سقوط مملكة غرناطة، فموضوعه يتمثل في ثورات المورسكيين والسياسة الإسبانية التي اتخذت لإخمادها.

لقد ذكر المؤلف عنوان كتابه في عنصر الإهداء، في قوله: «وقد كتبت تاريخ ثورة وعقاب أندلسيي مملكة غرناطة »[3]، وقد أهداه للملكين الكاثولكيين [4]Don Juan de cardinas y Zunica " الضون خوان دي قردیناش و ثنييكة" تخليدا لكل عطف وفضل عظيمين منهما[5].

وهو مدون باللغة القشتالية القديمة، كما ذكر مترجم الجزء الأول من الكتاب[6].

ويتألف من إهداء_كما ذكر سابقا_ وتقديم وثلاثة أجزاء. يذكر المؤلف في التقديم أسباب تأليفه للكتاب، والمتمثلة في:

-الاعتناء بحفظ ذكرى أعماله للاستفادة والإفادة[7].

(1) _ المصدر نفسه، مقدمة التحقيق، ج1، ص6.

(2) _ انظر التفصيل في التعريف في كتاب مرمول كربخال: تاريخ ثورة وعقاب أندلسيي مملكة غرناطة ، المصدر السابق (مقدمة المترجم(، ج1، ص 8-24.

(3) _ المصدر نفسه، ص 49.

(4) _المصدر نفسه، ص48.

(5) _المصدر نفسه، ص 50.

(6) _المصدر نفسه، ص31.

(7) _مرمول كربخال: تاريخ ثورة وعقاب أندلسيي مملكة غرناطة، المصدر السابق، ص 52.

-وللحفاظ على ذكرى حوادث كثيرة ومجيدة قد صارت منسية تقريبا[1].

طبع الجزء الأول والثاني في حياة المؤلف سنة1008ه/ 1599م[2] ، أما الجزء الأخير فطبع بعد وفاته سنة1009ه/ 1600م[3]، ونشرت طبعته الثانية سنة 1852 [4] والطبعة الثالثة سنة 2001 [5].

ينقسم الجزء الأول بدوره إلى عشرة أبواب تحوي مائتين وخمسين فصلا، والباب الذي يهمنا من هذا الجزء هو الباب الأول الذي قام بترجمته كما ذكرنا آنفا جعفر بن الحاج السلمي، ويضم الباب الأول سبعة وعشرين فصلا، إلا أن النسخة المنشورة سنة 1852 تذكر ثمان وعشرين فصلا، لكن بعد تتبعنا للفصول وموضوعاتها، وجدنا الترقيم فيه خطأ، حيث ذكر رقم 21 وبعده 23 دون ذكر فصل برقم 22[6].

فالباب الأول يشمل سبعة وعشرين فصلا تتحدث معظمها عن غرناطة في عهد بني الأحمر بداية من الفصل الأول حتى الفصل العشرين، أما باقي الفصول فإنها تتناول موضوع الملوك الكاثوليك بعد امتلاكهم غرناطة آخر معاقل المسلمين في إسبانيا.

(1) _المصدر نفسه، ص 52.

(2) _ المصدر نفسه، ص 31.

(3) _ المصدر نفسه، ص31.

(4) _ Louis de Marmol Karvajal:
Historia del rebelion y castigo de los moriscos del Reyno de Granada;en Madrid en la imprenta de Sancha,Segunta impression, Ano de MDCCXCV II (1852) .

(5) _
Louis de Marmol Karvajal: Historia del rebelion y castigo de los moriscos del Reyno de Granada, Alicanta .bibliotecaVirtual Miquelde cervantes; 2001

(6) _ Louis de Marmol Karvajal:op cit, 1852;pp 104-110

مصادر الكتاب:

لقد تنوعت مصادر مؤلفنا في كتابه "تاريخ ثورة وعقاب أندلسيي مملكة غرناطة" بين مصادر مادية وشفوية ومكتوبة.

فالمصادر المادية: وردت عند مرمول كربخال في إشارات عديدة، فعلى سبيل الأمثلة يقول: «وبناء على الكتابات العربية والنقائش المنقوشة في الحجارة القديمة ...» [1] و« قد وجد في عام982ه/ 1574م ... رخامات كانت موضوعة على رأس قبور أربعة ملوك...»[2].

والمصادر الشفوية: اعتمد المؤلف الرواية الشفوية التي حدثه بها بعض كبار السن من الأندلسيين، ونجد ذلك في بعض الأمثلة:« بناء على روايات الأندلسيين المسنين»[3]« وحكى لنا بعض المسلمين القدامى»[4]،« وقد حكى لنا مسلم عجوز»[5]، عجوز»[5]، والأمثلة كثيرة.

المصادر المكتوبة: اعتمد المؤلف أيضا مصادر مكتوبة غير أن بعضها معروف، والبعض الآخر غير معروف.

فمن المصادر المعروفة: كتابه "تاريخ إفريقيا"[6]، وكتاب" اللغة للجوهري" [7]

(1) _ مرمول كربخال: المصدر السابق، ص 71.

(2) _ المصدر نفسه، ص 83.

(3) _ المصدر نفسه، ص71

(4) _ المصدر نفسه، ص116

(5) _ المصدر نفسه، ص 139.

(6) _ المصدر نفسه، ص 80، 112

(7) _ المصدر نفسه، ص58.

والمصادر غير المعروفة: "كنز الفلاحين" دون ذكر مؤلفه[1]،و"التكملة لغاريباي"[2] و"جغرافية محمد بن جهور"[3] و"فصل في أراضي إسبانية لابن راشد" [4] و"تكملة البابا بيو"[5] و"الكتاب الخامس من العشرية الرابعة لتيتو ليبيو"[6]

وما يؤخذ على المؤلف إهماله عن قصد أو غير قصد المصادر العربية التي تعود للفترة المؤرخ لها وخصوصا فترة حكم بني الأحمر كابن الخطيب، وابن خلدون، وابن الأحمر وغيرهم.

مرمول كربخال جغرافي مؤرخ:

إن المتصفح للباب الأول من الجزء الأول من كتاب "تاريخ ثورة وعقاب أندلسيي مملكة غرناطة" يجده مزيجا بين الجغرافيا والتاريخ، حيث إن صاحبه كربخال يجمع في حديثه عن مملكة غرناطة بين جغرافية المكان التي أخذت قسطا معتبرا من الوصف، وبين تاريخ المملكة مركزا على تاريخ العمارة.

لا يكتفي المؤرخ بذكر المواقع وأسمائها وإنما ينظر في تاريخها، ويقدم توضيحات حول قدم الأماكن من حداثتها، وهذا ما سنراه في الأجزاء اللاحقة.

لفظ الأندلس: المعنى والتاريخ:

(1) _ المصدر نفسه ، ص111.

(2) _ يقول المؤلف عن صاحب هذا الكتاب أنه كاتب معاصر، المصدر نفسه، ص 70.

(3) _ المصدر نفسه، ص 59.

(4) _ يقول كربخال عن هذا الكتاب أنه وضعه صاحبه في قرطبة بأمر من خليفة دمشق، وسماه فصل في أراضي إسبانية، وفي دخول وفتح العرب لها، المصدر نفسه، ص ص 61، 62

(5) _ المصدر نفسه ص 58.

(6) _ المصدر نفسه، ص68.

يذكر المؤرخ كربخال في هذا الجزء أصل اسم الأندلس الذي يعتبره إقليم **بيتيكا** كما ذكر عند القدامى[1]، دون أن يعرف فيمن يكمن هؤلاء القدامى، ثم يسرد تاريخ العناصر الجرمانية التي دخلت الإقليم، وكان إحداها الوندال[2]الذين سموا إقليم بيتيكا بالوندالية[3] دون أن يشير إلى السكان الأصليين أو على الأقل السكان الأسبق من هؤلاء الجرمانيين، ويكتفي بالإشارة إلى السكان الأصليين بقوله: «المواطنين»[4] ، أو «بيتيكتنا»[5].

ثم يذكر المؤرخ العنصر السكاني الأخير قبل دخول المسلمين إلى الإقليم "بيتيكا" وهو عنصر "القوط"[6] جاعلا قرطبة عاصمة لهم[7]، غير أن المعروف في المصادر

(1) _ لفظ لاتيني روماني أطلق على الإقليم أيام إلحاقه بالامبراطورية الرومانية أنظر: José María Blázquez Martínez : La Bética en el Bajo Imperio, Publicado previamente en: Fuentes y Metodología. Andalucía en la Antigüedad, Actas del I Congreso de Historia de Andalucía, diciembre de, Córdob1976, vol. 1, 255-278.

(2) _ مرمول كربخال: تاريخ تورة وعقاب أندلسيي مملكة غرناطة، المصدر السابق، ص 56، 57.

(3) _ المصدر نفسه ، ص 58.

(4) _ المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(5) _ المصدر نفسه الصفحة نفسها.

(6) _ المصدر نفسه ، ص 59.

(7) _ المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

الإسلامية التي تحدثت عن فترة الفتوحات الإسلامية لشبه الجزيرة الإيبيرية أن عاصمة القوط هي طليطلة [1].

ويقدم المؤلف اشتقاقات أخرى للفظ الأندلس منها: الاشتقاق اللغوي الذي يريد من خلاله المؤرخ التقليل من الشأن الأندلسي في العصر الإسلامي، وهذا أكبر دليل على تعصبه المتشبع دينيا، فيجعل لفظ "الأندلس "مشتقا من دلس الذي« يعني في أصله العربي شيئا الثقة فيه قليلة، أو شيئا باطلا...» [2].

غرناطة: الاسم والجغرافيا:

يتحدث المؤلف عن مملكة غرناطة، ويؤكد أنها آخر ما كان للمسلمين في إسبانيا[3] أما في الوصف الجغرافي فالمؤلف يصف غرناطة بتحديد جهاتها الأربع[4]،ثم الأربع[4]،ثم يذكر ما بداخلها من مظاهر جغرافية، ويركز في ذكر ذلك على السلاسل الجبلية [5]. وفي خضم الحديث عن الجبال يقدم معلومات في غاية الأهمية عن حياة المسلمين اليومية، فمثلا يورد عملية تخشيب الدور، وذلك باستعمال أشجار الجبال المتشعبة باستدارتها دون نشرها[6]، ويشير إلى معاش أهل الجبال المتمثلة في جني التين

(1) _ مؤلف مجهول: أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها والحروب الواقعة بها، تح: اسماعيل العربي، ، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1989م، ص 96 ،97. وابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، تح: اسماعيل العربي، ،المؤسسة الوطنية للكتاب،1989م، ص 19.

(2) _ مرمول كربخال: تاريخ تورة وعقاب أندلسيي مملكة غرناطة، المصدر السابق، ص59.

(3) _ المصدر نفسه، ص60.

(4) _ المصدر نفسه، ص 60، 61.

(5) _ المصدر نفسه، ص 62-66.

(6) _ مرمول كربخال: تاريخ تورة وعقاب أندلسيي مملكة غرناطة، المصدر السابق، ص 62.

واللوز[1]، وتربية دود القز[2]، وعند ذكر السلاسل الجبلية كان المؤلف يربطها بالوديان والأنهار التي تتخللها ذاكرا أسماءها ومواقعها[3].

ثم يخصص الفصل الثالث للحديث عن المدينة التي تنتمي إليها غرناطة وهي مدينة "إلبيرة"، حيث يشير المؤلف أنها مدينة قديمة، ورد ذكرها عند القدامى[4]، إضافة إلى ما يقدمه من إشارات حول أهم ما تميزت به هذه المدينة أيام حكم المسلمين، حيث كان بها إنتاج الحرير بكثرة ونسيج الزرابي الرفيعة[5].

تعتبر غرناطة كما ذكرنا إحدى مدن إلبيرة، وهي مدينة قديمة وتدعى أيضا بلد اليهود لقدم اليهود بهذه المدينة[6]، غير أنه عند حديثه عن بناء مدينة غرناطة، يعتبر أن أول من بناها هم العرب عند فتحها، حيث أطلقوا عليها حصن الرمان [7]، وثاني بناتها هم البربر بنو زيري بالتطرق إلى باديس بن حبوس(429ه/ 1038مـ ـ 465ه/ 1073م) الذي اتخذها ملكا له وأطلق عليها اسم "الغزالة"[8]، فيدعى بذلك

(1) _ المصدر نفسه، ص 62.

(2) _ المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(3) _ المصدر نفسه، ص 64، 65.

(4) _ المصدر نفسه، ص 66.

(5) _ المصدر نفسه، ص 67.

(6) _ المصدر نفسه، ص ص 67ـ 68.

(7) _ المصدر نفسه، ص ص67ـ 73.

(8) _ المصدر نفسه، ص 75.

بذلك حصن الرمان بالقصبة القديمة[1]، وما أنشئ في عهد باديس بن حبوس يدعى القصبة الجديدة[2].

أما عن اشتقاقات اللفظ "غرناطة" غير اشتقاق حصن الرمان، فيذكر المؤلف أنه مشتق من كهف أو غار كانت تحفظ فيه امرأة تدعى "ناطة" طعامها، فسمي الغار باسمها، وأصبح المكان يدعى "غرناطة"، ويعتبره من الاشتقاقات الخرافية المرفوضة[3].

مملكة غرناطة التأسيس وبعض الأحداث:

يذكر مرمول كربخال موضوع تأسيس مملكة بني الأحمر باختصار، ويشير إلى أنه قد فصل في الحديث عنه في كتابه الآخر "تاريخ إفريقيا"، ففي هذا الكتاب يكتفي المؤلف بذكر أن التأسيس جاء بعد حروب بين بني الأحمر وغيرهم من المسلمين، وباقتدار بني الأحمر استطاع أحدهم والمدعو "أبا سعيد"[4]محمد بن الأحمر أن يستولي

(1) _ المصدر نفسه ، ص 74.

(2) _ المصدر نفسه، 75.

(3) _ المصدر نفسه ، ص 76.

(4) _ الأصح هو أبو عبد الله محمد، «فأولهم الغالب بالله أمير المسلمين أبو عبد الله محمد بن يوسف(635ه/ 1237م ـ 671ه/ 1272م)، وولده أيضا يدعى أبا عبد الله (671ه/ 1272م ـ 701ه/ 1301م)» لسان الدين بن الخطيب : اللمحة البدرية في الدولة النصرية، صححه محب الدين الخطيب، 1374ه، القاهرة، المطبعة السلفية، ص22.

على غرناطة وملكها أبناءه[1]، غير أن المؤلف لم يقدم لنا تاريخ التأسيس، واكتفى بتاريخ السقوط897ه/ 1492م[2].

أما عن الملوك الآخرين فقد كان يذكرهم من حين لآخر بربطهم بالمنشآت العمرانية التي شيدوها؛ لأن المؤلف أعطى أهمية خاصة للعمران بغرناطة بني الأحمر، ويتجلى ذلك في تقديمه لموضوع العمران في أربعة فصول بداية من الفصل السابع حتى الفصل العاشر[3]. ولذكر بعض الملوك أيضا يستعين بلوحات رخامية كانت على أضرحة ملوك غرناطة ذاكرا الملوك مع النصوص المكتوبة على اللوحات[4].

وفي حديثه عن النظام القضائي والإداري يشير إلى قاضي الجماعة بقوله «فقيه أعظم» وأقل منه شأنا هنا كفقهاء آخرين[5]، كما يشير إلى أن للمملكة قضاة وحكام مدنيون وجنائيون وشرطة[6].

ويشير كربخال إلى قضية في غاية الأهمية في قيام الدول واستمرارها وهي العصبية، فرأى أن سبب اجتماع بني الأحمر ودوام مملكتهم فترة طويلة تكمن فيها [7].
.[7]

(1) _ مرمول كربخال، تاريخ تورة وعقاب أندلسيي مملكة غرناطة، المصدر السابق، ص 80.

(2) _ المصدر نفسه، ص 80.

(3) _ المصدر نفسه، ص 80-94.

(4) _ المصدر نفسه، ص95-110.

(5) _ المصدر نفسه، ص 94.

(6) _ المصدر نفسه، 94.

(7) _ المصدر نفسه الصفحة نفسها.

إن المؤلف لم يعط اهتماما لملوك بني الأحمر قبل أبي الحسن الذي حكم بداية من سنة 885ه (يخطئ فيقدم تاريخا آخر 892ه) / 1480م[1]، ويكرر سبب ذلك وهو كما ذكر سابقا أنه تطرق لهم في كتابه "تاريخ إفريقيا" [2].

يذكر المؤلف أبا الحسن وعلاقته بالملوك النصارى التي كانت بين المهادنة والحرب[3]، إضافة إلى ذكر علاقته بأبنائه، فكانت أيضا بين تقريب بعضهم وإبعاد بعضهم الآخر لدرجة ذبح بعضهم[4]، وعلاقته أيضا بأعرق الـأسر وأرقاها في غرناطة؛ بنو السراج الذين عرفوا بالاستوزار، حيث أبعد وقتل منهم أفرادا[5]. ثم يسرد المؤرخ كيفية اعتلاء ابنه أبي عبد الله عرش المملكة، واستبعاد أبيه أبي الحسن[6] وما كان من هذا الأخير إلا الاستعانة بأخيه المدعو أبا عبد الله أيضا [7]، فضاعت العصبية وبرزت العداوة بين الأب وابنه وقامت الحروب المتتالية، حتى إنها أصبحت بين العم وابن أخيه –المذكوران سابقا-.

(1) _ المصدر نفسه، ص 113.

(2) _ المصدر نفسه، ص 112.

(3) _ المصدر نفسه، ص 113، 114.

(4) _ المصدر نفسه، ص 115.

(5) _ المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(6) _ مرمول كربخال، تاريخ تورة وعقاب أندلسيي مملكة غرناطة، المصدر السابق، ص115

(7) _ المصدر نفسه الصفحة نفسها.

حاول الابن أبو عبد الله أن يقاتل النصارى، ويسترجع مناطق منهم إلا أنه بعد فترة قصيرة وقع في الأسر[1]، ووقوع أبي عبد الله في الأسر كان سببا من أسباب فتح الطريق للنصارى أمام دخول غرناطة بعد فترة وجيزة.

فالتفاوض بين هذا الملك والنصارى جعل الملك يقبل بالولاء للنصارى مقابل إطلاق سراحه[2]، وبعد عودته إلى غرناطة وجد أهلها رافضين له مبايعين لعمه أبي عبد الله، وللتمييز بينهما دعي الابن بالزغيبي الذي يعني المنكود الصغير[3]، وسمي العم بالزغل بمعنى الرجل الشجاع[4].

ويفصل مرمول كربخال في الحديث عن الحروب بين الابن وعمه وعلاقتهما بالملوك النصارى، وكيفية استفادة هؤلاء النصارى من ذلك بتحريض ومساعدة الابن بشرط التنازل عن غرناطة عند القضاء على العم[5] وفي ذلك كله يشيد المؤلف بإنجازات الملوك النصارى ويعتبر عملهم فتحا عظيما[6].

لم يبق للملكين الكاثولكيين إلا السيطرة على مدينة غرناطة، وبعد أن أرسلا إلى أبي عبد الله الزغيبي رسالة بالوفاء بما تعهد به، رفض واعتل بكون المدينة كثيرة السكان ولا يستطيع أن يجمع كلمتهم على عهده[7].فكانت الحروب بين الطرف

(1) _ المصدر نفسه، ص 117.

(2) _ المصدر نفسه، ص118.

(3) _ المصدر نفسه، ص 119.

(4) _ المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(5) _ المصدر نفسه، ص ص 123-134، خروج الزغل إلى بلاد البربر ص 135.

(6) _ في كل حديثه يعتبر السيطرة على المدن والحصون فتحا.

(7) _ المصدر نفسه، ص 136، 137.

المسلم والطرف النصراني[1]، اختتم بمعاهدة واتفاق التسليم وقد فصل المؤلف في ذكر كل بنودها [2]، وكان موعد التسليم في اليوم الثاني من شهر يناير سنة897ه/ 1492م.

هذا عن الجانب السياسي، أما الجانب الاقتصادي فلم يذكر إلا في إشارات قليلة، حيث ذكر المؤلف بعض المنتوجات الفلاحية كالفواكه المتنوعة واللحوم والأسماك والحبوب[3]، كما أشار إلى تجارة كانت مربحة جدا وهي تجارة الحرير[4].

العمران في عهد بني الأحمر:

يخصص المؤلف لذكر عمران مملكة غرناطة ومختلف الإنجازات التشييدية لبني الأحمر حيزا معتبرا يذكر فيه أهم تلك الإنجازات، معتبرا إياها من عظمة المملكة وملوكها وأبنائها، فبداية من الفصل السابع إلى الفصل العاشر كله حول العمارة في عهد بني الأحمر.

أول عمارة تشييدا وأولها ذكرا عند المؤلف هي قلعة الحمراء التي سميت على نسب بني الأحمر[5]، واختيار موقعها المتمثل في قمة هضبة تطل على المدينة ومقابلة لهضبة القصبة[6].

(1) _ المصدر نفسه، ص ص 138-142.

(2) _ المصدر نفسه، ص ص 143-160.

(3) _ المصدر نفسه، ص ص 93، 94.

(4) _ المصدر نفسه، ص93.

(5) _ المصدر نفسه، ص 80.

(6) _ المصدر نفسه، ص 80،81.

إن العمران في دولة بني الأحمر جاء متنوعا بين القصور التي أعطاها بنو الأحمر عناية فائقة فأكثروا من تشييدها واهتموا بمظهرها الفخم الذي جعل المؤلف يتحدث عنها بانبهار كبير كالقصور التي عرفت في عهد أبي الحجاج يوسف كقصر قاعة الأسود[1] وقصر وجنة العريف[2].إضافة إلى أن بني الأحمر خصصوا للنزهة قصورا حيث يذكر المؤلف أحد القصور يسمى قصر النزهة أو دار النزهة[3].

أما بالنسبة للحصون يذكر المؤلف أن هناك حصونا وأبراجا عديدة تم إنشاؤها[4]، أما البساتين والرياض فقد ذكرها المؤلف بإطناب حيث إنها كانت داخل وخارج غرناطة، وكانت عبارة عن منتزهات ومناطق لجمع الفواكه لأهل غرناطة[5].

استعمل المؤلف الكثير من الألفاظ الدالة على كثرة المياه بغرناطة وخارجها، فمنها السواقي والعيون والماء العذب، الذي يفيض فيضا[6]، غير أن الدور لم يفصل المؤلف في تبيانها إلا ما ذكره من كونها متراصة لكثرتها وتميزها بضيق شوارعها[7]،

(1) _ مرمول كربخال، المصدر السابق، ص82.

(2) _ المصدر نفسه، ص 83.

(3) _ المصدر نفسه، ص 84.

(4) _ المصدر نفسه، ص 81.

(5) _ المصدر نفسه، ص ص 83، 88-92.

(6) _ المصدر نفسه، ص ص 88-92.

(7) _ المصدر نفسه، ص 94.

ويشير المؤلف إلى بنايات أخرى يرى أن فيها تقليدا للبناء المغربي كالمساجد والمدارس والمستشفيات والقيسريات[1].

وبعد هذه الدراسة المتواضعة لموضوعنا تبين أن كتاب مرمول كربخال: "تاريخ ثورة وعقاب أندلسيي مملكة غرناطة" بالرغم من كونه كتاب خصصه صاحبه للحديث عن ثورات الموريسكيين والسياسة المتبعة من طرف الاسبان إلى حين طردهم النهائي من إسبانيا، فإنه يعتبر من المصادر المهمة ـ وخصوصا الجزء الأول من الكتاب، والتي تقدم للباحث في التاريخ الأندلسي في عهد بني الأحمر نصوصا ذات أهمية جغرافية وعمرانية وسياسية أيضا.

يفيد الكتاب المهتمين بموضوع طبونيميا المواقع حيث يقدم معلومات طبونيمية على بعض المواقع في الأندلس، ويخصص لها جزءا لا بأس به بالعمل على ذكر مختلف المعلومات الخاصة باسم الموقع وتاريخه ومميزاته الجغرافية والتاريخية أيضا.

أما عن أهمية نقولاته، فتتمثل في اعتماده الرواية الشفوية وتدوينها، حيث حافظ فيها المؤلف على نصوص خاصة لا يمكن لمؤرخ العصر الحالي أن يصل إليها –رواية الموريسكيين الشفوية–، واعتماده النقل من مصادر مكتوبة لم يصلنا بعضها والتي تزيد من القيمة التاريخية للكتاب. غير أن المؤلف قد قصر في الاعتماد على المصادر الأصيلة لفترة بني الأحمر، والتي ألفها مؤرخون عايشوا الفترة، وشاركوا في أحداثها.

(1) _ المصدر نفسه ، الصفحة نفسها.

يظهر المؤلف من خلال كتابه هذا أنه متشبع بالثقافة الدينية النصرانية ومتعصب لها، فلا يذكر حدثا إلا ويربطه بأهل ملته، والإشادة بإنجازات الملوك النصارى، إضافة إلى أنه لم يعط ملوك بني الأحمر حقهم في التعريف بهم وبإنجازاتهم، واكتفى بإبراز المرحلة الأخيرة حيث الحروب بين أبناء المسلمين بقيادة أبناء الأسرة المالكة ودور النصارى في تشتيت شملهم ونجاحهم في ذلك، وتم لهم أعظم إنجاز وهو كما يعبر عنه المؤلف استرجاع آخر معاقل الإسبان من أيدي المسلمين.